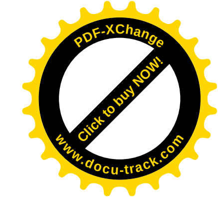





سلسلة وتواصوا بالحق

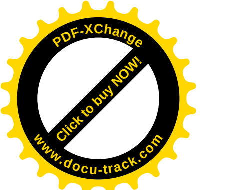
قـــــــــيـــام اللــــيل (١)

أطيب الكلام في فوائد القيام

حكم قيام الليل وفوائده – نماذج من قيام النبي ﷺ والصحابة – فوائد القيام النفسية والصحية - أبيات شعرية ترغب في قيام الليل

تأليف
د.عبد الواسع بن يحيى بن محمد المعـزبـــي
عضو هيئة التدريس في جامعة الإيمان

رقم إيميل المؤلف (aaaayy٥٠@hotmail.com)




مقدمة

الحمد لله، حمداً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه، ملء السموات، وملء الأرض، وملء مابينهما، وملء ماشاء ربنا من شيئ بعد، والصلاة والسلام، الأتمان الأكملان ، على نور الهدى، وسيد الورى، ومسك ختام الأنبياء،خير البرية، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله الكرام، وصحبه الأماجد، وعلى التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [(١)].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[(٢)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[(٣)].

أما بعد :

فمعلوم أن الحكمة من الخلق؛ هي عبوديتهم للخالق، بأنواع العبادات القلبية، والقولية، والعملية، ويجمعها جميعا قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(٤)] والتوحيد والإيمان أصل الدين،و الغاية من إرسال الرسل كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وكقوله تعالى حاكيا عن مؤمني الجن﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[(٥)] وما أحسن قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأنت إله الخلق ربي وخالقي * بذلك ماعُمرت في الناس أشهدُ

تعاليت رب الناس عن قول من دعا *سواك إلها أنت أعلى وأمجدُ

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢.

(٢) سورة النساء : ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) سورة الذاريات : ٥٦.

(٥) سورة الأحقاف: ٣١ .

لك الخلقُ والنعماء والأمر كله * فإياك نستهدي وإياك نعبدُ[١]

وحتى تستمر القلوب حية تنبض بالإيمان؛ فرض الله الصلاة، والزكاة،والصوم، والحج؛ لتزيد في إيمان المسلم، وتقربه من ربه سبحانه وتعالى، وبُني الإسلام على هذه الأركان الخمسة التي هي الشهادة لله بالوحدانية، والعمل بمقتضاها، والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، والعمل بمقتضاها، وهكذا نوافل العبادات من جنس الصلاة، والصوم، والصدقة، والحج، تزيد في إيمان المسلم بل وتقربه من ربه، وتكون سببا لمحبة الله لعبده الُمتقرب إليه بهذه النوافل.

وإذا كانت الصلاة هي الركن الركين، والثاني في هذا الدين؛ فإن قيام الليل يأتي بعدها مباشرة في المكانة، والثواب عند رب العالمين بنص حديث النبي ﷺ **(أفضلُ الصلاةِ بعدَ الفريضةِ صلاةُ الليلِ وأفضلُ الصيامِ بعدَ رمضانَ شهرُ اللهِ المحرُم)**[٢].

ولأهمية هذه العبادة العظيمة الشريفة لازمها النبي ﷺ حتى لقي ربه، وحث عليها أصحابه الكرام، ونحن اليوم في زمن طغت فيه الغفلة، وتعددت أسَبابُها، وقلّتْ فيه العبادات التي تسمو بالنفوس، وتربطها بالله والدار الآخرة، وكأن المقصود بقوله ﷺ **(العبادةُ في الهْ ج[٣]كهجرةٍ إليّ)**[٤] هذا الزمان، وفي الحديث دلالة على أن المتعبد لله بأي عبادة في هذه الأزمنة أزمنة الفتن آخر الزمان يلاقي من المشقة والنصب في مجاهدة النفس في عبادة ربه مايستحق به مثل ثواب المهاجرين إلى النبي ﷺ أولئك الذين تركوا مايحبون، وصبروا على مايكرهون؛ يبتغون الفضل والرضوان من الله تعالى، ولذلك أثنى الله عليهم بقوله

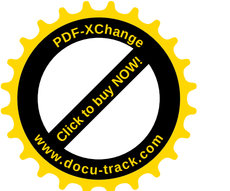
---

(١) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ (١/ ٤٧) من قصيدة مطلعها : أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهود يلوح ويشهد الطبعة الأولى – دار صادر – بيروت - لبنان .

(٢) انظر: صحيح مسلم ك/ الصوم ب/ فضل صوم المحرم (٢/ ٨٢١) المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي،وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٨/ ٣٩٨) المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م تحقيق : شعيب الأرنؤوط،وسنن الترمذي ك/ الصلاة ب/ ماجاء في فضل صلاة الليل (٢/ ٣٠١) رقم (٤٣٨) المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

(٣) الهرج : أي قتالٌ واخْتِلاطٌ ، وقد هَرَجَ النَّاسُ يَهْرِجُون هَرْجاً إذا اخْتَلَطُوا ، وقد تَكَرَّرَ في الحديث ، وأصْلُ الهَرْج : في الشَّيء والاتّساعُ، انظر: النهاية في غريب الأثر (٥/ ٥٨٧) المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، الناشر : المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

(٤) صحيح مسلم ك/ الفتن ب/ فضل العبادة في الهرج (٤/ ٢٢٦٨) رقم(٥٩٤٨)عن معقل بن يسار ﷺ.




عزوجل ﴿ لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ ورضوانا وينصرون اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [١]

ولما كان الصيام والقيام من أعظم العبادات مكانة في شريعة الإسلام جُعلا ميزاناً تُوزن به أجور سائر الأعمال الصالحة، كقوله ﷺ (إِنَّ الْمؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)[٢].

وكقوله ﷺ مبيناً أجرَ السعي على الأرملة والمسكين (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أو كَالْقَائِمِ لايَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لا يُفْطِرُ)[٣].

فانظر كيف جعل الإسلامُ الصيامَ والقيامَ ميزاناًً يُستدل به على فضائل الأعمال، ومقدار ثوابها فلهذا السبب، ولأن قيام الليل من أبواب الخير، كما في قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه(ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة،وصلاة الرجل في جوف الليل)[٤]رغبتُ أن أكون ممن يذكر بهذا الخير، ويدل عليه، وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل برحمته، وكرمه، وأن يجعله سببا لرضوانه في الحياة، وبعد الممات، وقد قسمت هذا الموضوع إلى أربعة فصول:

الفصل الأول : حكم قيام الليل، وأهم فوائده ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : حكم قيام الليل .

المبحث الثاني : وجوب الوتر على أهل القرآن .

المبحث الثالث : أبرز فوائد قيام الليل في ضوء القرآن والسنة.

---

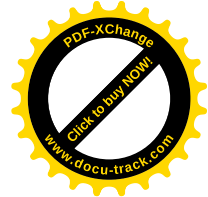
(١) سوة الحشر : ٨.

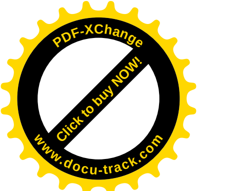
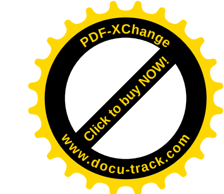
(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو داود في السنن ك/ الأدب ب/ حسن الخلق (٤/ ٤٠٠) رقم(٤٨٠٠) المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني،الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت، وأحمد في المسند (٤٠/ ٤١٤) رقم (٢٤٣٥٥) و(٤١/ ١٤٥) رقم (٢٤٥٩٥)المؤلف : أحمد بن حنبل ، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

(٣) صحيح البخاري ك/ الأدب ب/ الساعي على الأرملة والمسكين(٥/ ٢٢٣٧) رقم (٥٦٦٠) تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٤) حديث صحيح : أخرجه الترمذي ك/ الإيمان ب/ ماجاء في حرمة الصلاة ٥/١١رقم (٢٦١٦) وابن ماجه في السنن ك/ الفتن ب/ كف اللسان في الفتنة ٢/ ١٣١٤رقم (٣٩٧٣) تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.


PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.docu-track.com


PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.docu-track.com

الفصلُ الأولُ

حكمُ قيامِ الليلِ وبعضُ فوائدهِ الواردةِ في الكتابِ والسُّنَةِ

المبحث الأول : حكم قيام الليل

قيامُ الليل من أشرف النوافل التي يتعبد بها المتعبدون كما تقدم معنا قولـه ﷺ **(أفضَـل الصلاةِ بعدَ الفريضةِ صلاةُ الليلِ وأفضلُ الصيامِ بعدَ رمضانَ شهرُ اللهِ المحرُم)** [(١)].

ولأهميته في تذوق حلاوة المناجاة بين المسلم وخالقه؛ فقد أوجبه الله على المسلمين في مكة حولاً كاملاً قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً﴾[(٢)] فامتثل النبي ﷺ والصحابة الأمر، وقاموا الليل حتى تورمت أقدامهم، ومثل هذا الأمر قوله سبحانه ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلا ﴾[(٣)] .

ومثلهما قوله تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [(٤)] ، قال ابن الجوزي رحمه الله قوله (من الليل) فيه ثلاثة أقوال : أحدها : صلاة الليل كله،والثاني: صلاة العشاء، والثالث : صلاة المغرب والعشاء .انتهى كلامه[(٥)].

وقد ذكرَ اللهُ سبحانه أنّ قيامَ الليلِ عونٌ لصاحبه على تحمل أعباء الدعوة وتكاليف الشريعة قال تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[(٦)].

أقول : وهذه جملة تعليلية تعلل ما قبلها من الأمر بقيام الليل والله أعلم .

وبعد أن كان قيام الليل واجبا على النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم جعله الله نافلة، وندبا فقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

---

(١) صحيح مسلم ك/ الصوم ب/ فضل صوم المحرم ٢/ ٨٢١ وابن حبان ٨/ ٣٩٨ والترمذي ك/ الصلاة ب/ ماجاء في فضل صلاة الليل ١/ ٩٣ جميعهم عن أبي هريرة ﷺ.

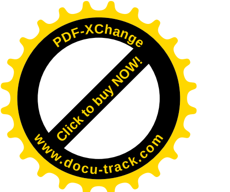
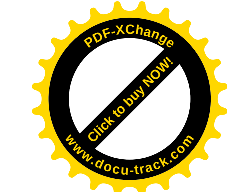
(٢) سورة المزمل:١-٢.

(٣) سورة الإنسان : ٢٦.

(٤) سورة ق : ٤٠ .

(٥) زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٣٤٥) تأليف: الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي الدمشقي – المكتب الإسلامي ودار ابن حزم - بيروت – لبنان – ط – الأولى .-٢٠٠٢م – ١٤٢٣هـ .

(٦) المزمل : ٥.

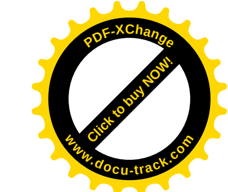



وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فاقرؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [١]، قال ابن الجوزي: (كان بين إيجابه ونسخ وجوبه سنة، وقيل:ستة أشهر ، وقد نسخ الوجوب في حق النبي ﷺ والصحابة بهذه الآية، هذا قول جماعة من المفسرين، وقيل : نُسخ وجوبه عن الأمة وبقي فرضا عليه ﷺ)[٢].

وقال القرطبي رحمه الله : في قوله تعالى ﴿ فاقرؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾[٣]، قولان : أحدهما :أن المرادَ نفسُ القراءة أي فاقرؤوا فيما تصلونه بالليل ماخف عليكم، قال السدي : مائة آية ، وقال الحسن : من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن، والثاني : أي فصلوا ما تيسر عليكم، والصلاة تسمى قرآنا كقوله تعالى﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودا﴾[٤]، قال ابن العربي : وهو الأصح أي : الصلاة، قال القو طبي : قلت الأول أصح أي القراءة - ثم أشار القرطبي إلى حكم قيام الليل فقال- : قال القشيري أبو نصر: والمشهور أن نسخ قيام الليل كان في حق الأمة وبقيت الفريضة في حق النبي ﷺ ،وقيل: نُسِخَ التقدير بمقدار، وبقي أصل الوجوب كقوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٥] فالهدي لابد منه كذلك لم يكن بد من صلاة الليل، ولكن فوض قدره إلى اختيار المصلي، وعلى هذا فقد قال قوم : فرض قيام الليل بالقليل باق، وهو مذهب الحسن ،وصار قوم إلى أن النسخ بالكلية تقرر في حق النبي ﷺ أيضا فما كانت صلاة الليل واجبة عليه وقوله تعالى﴿نَافِلَةً لَكَ ﴾[٦] محمول على حقيقة النفل)[٧] انتهى كلامه.

---

(١) سورة المزمل : ٢٠ .
(٢) زاد المسير باختصار وتصرف ١/ ١٤٨٢.
(٣) سورة المزمل : ٢٠.
(٤) سورة الإسراء: ٧٨.
(٥) سورة البقرة : ١٩٦.
(٦) سورة الإسراء : ٧٨.
(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٥٥) تأليف : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥هـ.

قال ابن القيم في الزاد :(قد اختلف السلف والخلف في أنه : هل كان فرضا عليه ﷺأم لا ؟ والطائفتان احتجوا بقوله تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾[١] قالوا : فهذا صريح في عدم الوجوب.

وقال الآخرون : أمره بالتهجد في هذه السورة كما أمره في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [٢] ولم يجيء ما ينسخه عنه وأما قوله تعالى ﴿ نافلةً لَكْ ﴾ فلو كان المراد به التطوع لم يخصه بكونه نافلة له وإنما المراد بالنافلة الزيادة، ومطلق الزيادة لايدل على التطوع، قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [٣] أي زيادة على الولد وكذلك النافلة في تهجد النبي ﷺ زيادة في درجاته وفي أجره ولهذا خصه بها فإن قيام الليل في حق غيره مباح ومكفر للسيئات وأما النبي ﷺ فقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فهو يعمل في زيادة الدرجات، وعلو المراتب، وغيره يعمل في التكفير ، قال مجاهد : إنما كان نافلة للنبي ﷺ لأنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر فكانت طاعته نافلة أي : زيادة في الثواب ولغيره كفارة لذنوبه) انتهى كلامه باختصار [٤]

قال الحافظ في الفتح :

(ولم أر النقل في القول بإيجابه إلا عن بعض التابعين قال ابن عبد البر : شذ بعض التابعين فأوجب قيام الليل، ولو قدر حلب شاة والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه ونقله غيره عن الحسن، وابن سيرين والذي وجدناه عن الحسن : ما أخرجه محمد بن نصر وغيره عنه أنه قيل له : ماتقول في رجل استظهر القرآن كله لايقوم به إنما يصلي المكتوبة ؟ فقال :[لعمر][٥] الله هذا إنما يتوسد القرآن، فقيل له : قال الله تعالى ﴿ فاقرؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [٦]، قال : نعم ولو قدر خمسين آية .

---

(١) سورة الإسراء : ٧٩.

(٢) سورة المزمل : ١.

(٣) سورة الأنبياء :٧٢.

(٤) زاد المعاد ١/ ١٥٣. ط. دار القلم للتراث.

(٥) التصويب من مختصر قيام الليل للمروزي(١/ ٦) الموسوعة الشاملة، والمثبت في فتح الباري : (لعن الله هذا) ولعل اللعن تصحيف .

(٦) سورة المزمل : ٢٠.




وكان هذا هو مستند من نقل عن الحسن الوجوب ونقل الترمذي عن إسحاق بن راهويه أنه قال : إنّما قيامُ الليلِ على أصحابِ القرآنِ وهذا يخصص مانقل عن الحسن وهو أقرب وليس فيه تصريح بالوجوب أيضا) انتهى كلامه[١].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري(٣/ ٢٧) المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ) المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر : دار الفكر.

المبحث الثاني

وجوب الوتر على أهل القرآن

أقول : وبالتأمل في السُّنةِ نجد أدلة تقوي القول بوجوب القيام والوتر لكن على حملة القرآن، وهو قول حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وسعيد بن المسيب(١) والحسن، وابن سيرين، وإسحاق بن راهويه، وأبو حنيفة، وبعض الحنابلة:

وإليك الأدلة على وجوب الوتر على حفاظ القرآن:

الدليل الأول :

أمرالنبي ﷺ لأهل القرآن بالوتر صراحة كما في سنن أبي داود وغيره عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ **(ياأهلَ القرآنِ أوتروا فإنَّ الله وترٌ يُحِبُ الوتَر)** (٢) وعن عبد الله بن مسعود بمعناه وزاد فيه **﴿ فقال : أعرابيٌ ماتقولُ يارسول الله ؟ فقال : ليس لكَ ولا لأصحابكَ﴾** (٣) وصححهما الشيخ الألباني في سنن أبي داود .

أقول : وجه الدلالة من هذا الحديث لفظ الأمر ويعضده ماسيأتي من الوعيد على ترك القيام لحافظ القرآن وهذا أمر جديد خاص بعد آية المزمل ولا يمتنع أن يكون القيام واجبا على الجميع ثم ينسخ عن الجميع ثم صار واجبا على طائفة مخصوصة هم أهل القرآن بعد ذلك بأمر جديد وهو هذا الحديث والله الموفق .

الدليل الثاني :

ما أخرجه البخاري من حديث سمرة رضي الله عنه مرفوعا **(في الرجل الذي يُثْلغُ رأسُه أنَّه الذي يأخذُ القرآنَ فيرفُضُه وينامُ عن المكتوبةِ)**(٤) وفي البخاري كذلك من رواية جرير بن

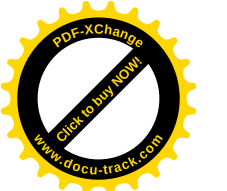
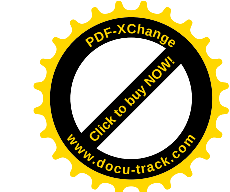
---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ب/ من قال الوتر على أهل القرآن ٢/ ٩٣.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود ك/الوتر ب/ استحباب الوتر ١/ ١٧٢ حديث رقم ١٤١٦ .عن علي رضي الله عنه / طبعة بيت الأفكار الدولية /لبنان / ٢٠٠٤ م.

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود ك/الوتر ب/ استحباب الوتر ١/ ١٧٢ حديث رقم ١٤١٧. والمروزي في صلاة الوتر ١/ ٤ حديث رقم ٢ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري ك/ التهجد ب/ عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل ١/ ١٨٣ رقم ١١٤٢وك/ التعبير ب/ تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ١/ ١٢١٥عن سمرة رضي الله عنه ط- دار الفيحاء ودار السلام دمشق – الرياض - ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .

حازم لحديثِ سمُرَة رضي الله عنه **(والذي رأيتَهُ يُشدخُ رأسُه فرجلٌ علمه اللهُ القرآنَ فنامَ عنه بالليل ولم يعملْ فيه بالنهار)** [(١)].

قال الحافظ في الفتح عند شرحه الحديث في كتاب التعبير :

(ظاهره أنه يعذب على ترك قراءة القرآن بالليل بخلاف رواية عوف فإنه على تركه الصلاة المكتوبة، ويحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين معاً)[(٢)] انتهى كلام الحافظ .

أقول : ووجه الدلالة هنا أنه لاعذاب إلا على ترك واجب فلما ترك حافظ القرآن القيام بما تيسر ولم يعمل به في النهار شُدِخَ رأسُهُ والله أعلم .

الدليل الثالث :

ماأخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (إنما مثلُ صاحبِ القرآنِ كمثل الإبلِ المُعقّلة إن عاهدَ عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت وإذا قامَ صاحبُ القرآنِ فقرأه بالليلِ والنهارِ ذُكَرَهُ وإذا لم يقمْ به نُسّيهُ)[(٣)] أخرجه مسلم من طرق عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما .

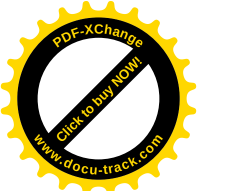
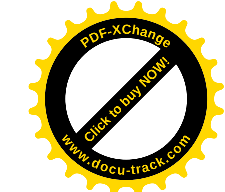
أقول : ورواية مالك عن نافع ليس فيها ذكر القيام لكن موسى بن عقبة قد توبع على هذه الزيادة تابعه أيوب وابن شهاب وأسامة بن زيد جميعهم عن نافع بنحوها ولفظ أيوب عند عبد الرزاق : عن أيوب عن نافع عن ابن عمرقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل

---

(١) أخرجه البخاري ك/ الجنائز ب/ ما قيل في أولاد المشركين ١/ ٢٢٢ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٢) انظر: فتح الباري ١٢/ ٤٦٥ .

(٣) صحيح مسلم ك/ صلاة المسافرين ب/ الأمر بتعاهد القرآن (٢/ ٨٢١) والمسند المستخرج على صحيح مسلم (٢/ ٣٨٠) المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م الطبعة : الأولى، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٠) المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩١م، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ،سيد كسروي حسن والبيهقي في شعب الإيمان(٣/ ٣٥٠) رقم (١٨١١)المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى : ٤٥٨هـ) ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، الناشر : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فدعا، وقرأ آناء الليل وأطراف النهار ، كمثل رجل له إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق ُعقلها ذهبت ، وكذلك صاحب القرآن)[1].

ولفظ ابن شهاب عند الطبراني في الكبير من طريق نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :(مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا عَاهَدَ عَلَيْهِ ، وَقَامَ بِهِ فِي لَيْلِهِ ، كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمَعْقُولَةِ إِذَا عَقَلَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِذَا أَطْلَقَهَا انْفَلَتَتْ)[2].

ولفظ أسامة عند الطبراني في الأوسط :

وعن أسامة بن زيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه ، فقام به من الليل والنهار ، كمثل الإبل المعقلة ، إذا عاهد عليها صاحبها أمسكها ، وإن أطلق عقلها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن)[3].

ولفظ أيوب وابن شهاب أخرجه أبوعوانة كذلك بلفظ :

حدثنا الدبري ، قال ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه يقرؤه آناء الليل والنهار كمثل رجل له إبل فإن عقلها حفظها ، وإن أطلق عنها ذهبت ، وكذلك صاحب القرآن)وحدثنا الدبري ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله[4]، أقول : وجه الدلالة أن نسيان القرآن ذنب والبعد عن الذنوب واجب ومن لم يقم الليل نسي فيلزمه القيام بما تيسر حتى لاينسى والله الموفق، فإن قلت هل ذكر أهل العلم أن نسيان القرآن ذنب ؟

قلت : نعم بل ومن الكبائر قال ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر :

(الكبيرة الثامنة والستون : نسيان القرآن أو آية منه بل أو حرف)[5]، ثم قيد هذا الحكم فقال: قَالَ الْجَلالُ الْبُلْقِينِيُّ وَالزَّرْكَشِيُّ وَغَيْرُهُمَا : (مَحَلُّ كَوْنِ نِسْيَانِهِ كَبِيرَةً عِنْدَ مَنْ قَالَ بِهِ إذَا كَانَ عَنْ تَكَاسُلٍ وَتَهَاوُنٍ انْتَهَى ، وَكَأَنَّهُ احْتَرَزَ بِذَلِكَ عَمَّا لَوْ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِنَحْوِ إغْمَاءٍ أَوْ

---

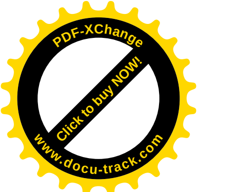
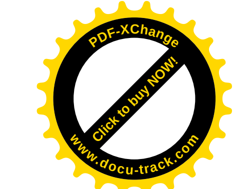
(١) مصنف عبد الرزاق(٣/ ٣٨١-٣٨٢) رقم(٦٠٣٢) المؤلف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

(٢) المعجم الكبير (١١/ ١٩٤) .

(٣) المعجم الأوسط (١ / ٣١٢).

(٤) مستخرج أبي عوانة(٨ / ١٠٧).

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر(١/٣١٠).

مَـرَضٍ مَـانِعٍ لَـهُ مِـنْ الْقِـرَاءَةِ وَغَيْرِهِمَـا مِـنْ كُـلِّ مَـا لا يَتَـأَتَّى مَعَـهُ الْقِـرَاءَةُ ، وَعَـدَمُ التَّـأْثِيمِ بِالنِّسْيَانِ)[1].

الدليل الرابع:

قولـه تعالى (فَاقْرَؤُوا مَـا تَيَسَّرَ مِنْـهُ)[2]، قال أبو السعود:(فصلُّوا ما تيسرَ لكُم من صلاة الليلِ عبرَ عن الصلاة بالقراءة كما عبَّر عنها بسائر أركانِها)[3] وقال ابن كثير رحمه الله : (أي ولكن قوموا من الليل ما تيسر وعبر عن الصلاة بالقراءة، كما قال في سورة سبحان: (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ) أي: بقراءتك، وَلا تُخَافِتْ بِهَا)[4]، ثم نقل ابن كثير قول الحسن مسندا فقال: قال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رجاء محمد، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسَّدُ القرآن، لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبد الصالح: (وَإِنَّـهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) (وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ) قلت: يا أبا سعيد، قال الله: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) ؟ قال: نعم، ولو خمس آيات، وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري: أنه كان يرى حقًا واجبًا على حَمَلَة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل؛ ولهذا جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح، فقال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنه) فقيل معناه: نام عن المكتوبة. وقيل: عن قيام الليل. وفي السنن: "أوتِرُوا يا أهل القرآن.") وفي الحديث الآخر: "من لم يوتر فليس منا) انتهى كلام ابن كثير رحمه الله[5].

وقال القرطبي (قال قوم : فرض قيام الليل بالقليل باق وهو مذهب الحسن) [6].

وأما العلماء الذين قالوا بوجوب الوتر فقال الكاساني رحمه الله :(عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ فِيهِ ثَلاثُ رِوَايَاتٍ ، رَوَى حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْهُ أَنَّهُ فَرْضٌ ، وَرَوَى يُوسُفُ بْنُ خَالِدٍ السَّمْتِيُّ أَنَّهُ وَاجِبٌ ،

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٣١٢/١ .
(٢) سورة المزمل :[٢٠] .
(٣) تفسير أبي السعود ٦/ ٤٠١ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥٨ .
(٥) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥٩ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٣٦،٣٧.

وَرَوَى نُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ الْمَرْوَزِيِّ فِي الْجَامِعِ عَنْهُ أَنَّهُ سَنَةٌ وَبِهِ أَخَذَ أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَقَالُوا : إنَّهُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ آكَدُ مِنْ سَائِرِ السُّنَنِ الْمُؤَقَّتَةِ)[١].

ثم نقل القول بالوجوب عن السلف فقال :(وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْوِتْرَ حَقٌّ وَاجِبٌ ، وَكَذَا حَكَى الطَّحَاوِيُّ فِيهِ إجْمَاعَ السَّلَفِ ومثلهما لا يَكْذِبُ وَ لِأَنَّهُ إذَا فَاتَ عَنْ وَقْتِهِ يُقْضَى عِنْدَهُمَا وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَيْ الشَّافِعِيِّ ، وَوُجُوبُ الْقَضَاءِ عَنْ الْفَوَاتِ لَا عَنْ عُذْرٍ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الْأَدَاءِ ؛ وَلِذَا لَا يُؤَدَّى عَلَى الرَّاحِلَةِ بِالْإِجْمَاعِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَى النُّزُولِ ، وَبِعَيْنِهِ وَرَدَ الْحَدِيثُ وَذَا مِنْ أَمَارَاتِ الْوُجُوبِ وَالْفَرْضِيَّةِ لِأَنَّهَا مُقَدَّرَةٌ بِالثَّلَاثِ وَالتَّنَفُّلُ بِالثَّلَاثِ لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ .

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ أَمَّا الْأَوَّلُ فَفِيهِ نَفْيُ الْفَرْضِيَّةِ دُونَ الْوُجُوبِ ؛لأن الْكِتَابَةَ عِبَارَةٌ عَنْ الْفَرْضِيَّةِ وَنَحْنُ بِهِ نَقُولُ : إنَّهَا لَيْسَتْ بِفَرْضٍ وَلَكِنَّهَا وَاجِبَةٌ وَهِيَ آخِرُ أَقْوَالِ أَبِي حَنِيفَةَ)[٢]، أقول : وللفائدة والتنبيه على الفرق بين الفرض والواجب عند الحنفية إليك ماقاله السمرقندي في ميزان الأصول ونتائج العقول :

(أما حدالفرض في عرف الفقهاء [الحنفية] فما ثبت وجوبه بدليل مقطوع به .

وحد الواجب : ماثبت لزومه بدليل فيه شبهة العدم .

نظير الأول :الصلوات الخمس في كل يوم وليلة وصوم رمضان والحج ونحوها .

ونظير الثاني : ماثبت وجوبه بالقياس وخبر الواحد نحو الوتر وصدقة الفطر والأضحية ونحوها) انتهى بلفظه [٣].

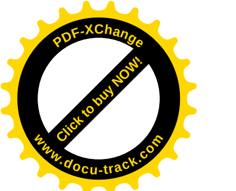
وقال ابن قدامه -رحمه الله- في المغني:

(الوتر غير واجب وبهذا قال مالك، والشافعي، وقال أبوبكر: هو واجب وبه قال أبوحنيفة لأن النبي ﷺ قال :(إذا خفت الصبح فأوتر بواحدة) وأمر به في أحاديث كثيرة والأمر يقتضي الوجوب) انتهى موضع الشاهد[٤].

وقال ابن قدامه رحمه الله في المغني :

---

(١) بدائع الصنائع ٦٣/٣ .
(٢) بدائع الصنائع ٣/ ٦٥ .
(٣) ميزان الأصول ١/ ٢٩ .
(٤) المغني ١/ ٨٢٧ .




(الوتر غير واجب وبهذا قال مالك والشافعي وقال أبوبكر هو واجب وبه قال أبوحنيفة لأن النبي ﷺ قال : (إذا خفت الصبح فأوتر بواحدة) وأمر به في أحاديث كثيرة والأمر يقتضي الوجوب) انتهى موضع الشاهد من كلام صاحب المغني(١).

أقول : وأما أقل قدر يُقرأ به ليلا فهو عشر آيات لتبيينه ﷺ ذلك بقوله **(من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)** (٢)

أقول: ولعل الأقرب أنَّ تقدرَ هذه الآيات العشر من الآيات المتوسطة بين آيات الطوال، و آيات المفصل، والعمل بالظاهر مجزئ ولو قرأ عشرا من آيات المفصل والله أعلم .

أقول :

وقد يصير المباح مكروها والمكروه محرما بسبب يلابسه وكذلك قد يكون المندوب واجبا لما يترتب عليه من حفظ الدين واستقامة النفس في زمن كثرت فيه الفتن وفتحت فيه أبواب الشهوات والشبهات والمعاصي على الصالحين والطالحين فمن يوقظ أصحاب القرآن !!!

ولذلك لايبعد القول –فيما يبدولي - بوجوب الوتر على حافظ القرآن وعلى طالب علم الكتاب والسنة بما تيسر من القرآن لما سبق من الأدلة وهو قول حذيفة بن اليمان وابن مسعود رضي الله عنهم من الصحابة وسعيد بن المسيب (٣) والحسن وابن سيرين من التابعين وإسحاق (٤) وأبي حنيفة من الأئمة وأبو بكر من الحنابلة .

وهو قولٌ وسطٌ بين الجمهور وأبي حنيفة وبعض الحنابلة لأن الجمهور لايوجبونه لاعلى قارئ ولا غيره وأبو حنيفة وبعض الحنابلة يجعله واجبا على كل مسلم والتوسط بين القولين وجوبه على حملة القرآن وحفاظه والله أعلم.

---

(١) المغني ١/ ٨٢٧ .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبوداود ك/ شهر رمضان ب/ في كم يقرأ القرآن ١/ ١٦٩وابن خزيمة في صحيحه ٢/ ١٨١ وابن حبان ٦/ ٣١٠ وصححه الألباني في صحيح الترغيب(١/ ٣٣٤) تأليف: محمد ناصر الدين الألباني - الناشر: مكتبة المعارف – الرياض- المملكة العربية السعودية – الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

(٣) انظر مصنف ابن أبي شيبة ب/ من قال الوتر على أهل القرآن ٢/ ٩٣.

(٤) فتح الباري ٣/ ٣٤ .




المبحث الثالث

أهم فوائدُ قيامِ الليلِ من الكتابِ والسنةِ

أولاً: قيامُ الليلِ سببٌ لدخولِ الجَنّةِ :

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١)

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنجفل إليه الناس فكنت فيمن جاءه فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب قال: فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : (أيها الناسُ ! أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)(٢).

وقال ﷺ :(إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام)(٣).

وأثنى الله على طائفة ممن قبلنا لأجله قال عزوجل ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾(٤) وبمعنى الآية قوله ﷺ (عليكم بقيام الليل فإنه دَأْبُ الصالحين قبلكم وقربةٌ إلى ربكم ومكفرةٌ للسيئات ومنهاةٌ عن الإثم) (٥)

ومعنى الدأْب : كما يقولُ ابنُ الأثير (العادةُ والشأنُ وقدْ يُحرك [دأَب] وأصله من داب[بغير همز] في العمل إذا جد وتعب إلا أن العرب حولت معناه إلى العادة والشأن) (٦)

---

(١) سورة الذاريا ت : ١٥- ١٨.

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي ك/ صفة القيامة ١/ ٤٠٥ حديث رقم ٢٤٨٥ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنهما./ بيت الأفكار الدولية / لبنان / ٢٠٠٤م .و صححه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٣٢٥ عن عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) حديث صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٢٦٢ عن أبي مالك الأشعري وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٣٢٦.

(٤) سورة آل عمران: ١١٣.

(٥) حديث حسن: أخرجه الترمذي ك/ الدعاء ١/ ٥٥٨ وابن خزيمة ٢/١٧٦ والحاكم في المستدرك ١/ ٤٥١ عن أبي أمامة رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٣٢٨.

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٩٥ .

ثانيا: قيام الليل سبب للنجاة من النار :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :

كان الرجل في حياة النبي ﷺإذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ وكنت غلاما شابا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال : **(نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا)**[١]

قال الحافظ في الفتح : (قال القرطبي : إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ماهو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها وقيل له: لاروع عليك، وذلك لصلاحه غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار، والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك)[٢].

عن محمد بن زيد (أن ابن عمر رضي الله عنهما كان له مهراس فيه ماء فيصلي فيه ما قدر له ثم يصير إلى الفراش فيُغفِي إغفاءة الطائر ثم يقوم فيتوضأ ويصلي يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسة)[٣].

عن ابن عمر رضي الله عنهما (أنه كان يحيي الليل صلاة ثم يقول : يانافع أسحرنا ؟ فأقول:لا فيعاود الصلاة إلى أن أقول: نعم فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح) [٤].

أقول : وهذا يدل على لزوم ابن عمر رضي الله عنهما توجيه النبي ﷺ له بقيام الليل وقد استدل البخاري رحمه الله بهذا الحديث على فضل قيام الليل ووجه الدلالة منه بيّنٌ وهو قوله (نعمَ الرجلُ) إذا فمن قام الليل صح أن يقال فيه : نعم الرجل وهذا دليل على شرف هذه العبادة وفضلها ومشروعية الثناء على من واظب عليها والله الموفق .

ثالثاً: جعلَ اللهُ قيامَ الليلِ كفارةً للسيئات:

---

(١) صحيح البخاري ك/ التهجد ب/ فضل قيام الليل ١/ ٣٨٧.

(٢) فتح الباري ٣/ ١٠.

(٣) تحفة العلماء ١/ ٣٣١.

(٤) تحفة العلماء ١/٣٣١.




لما كان الإنسان عرضة للذنب والتقصير في الليل والنهار جعل الله الحسنات تمحو السيئات مالم تؤت كبيرة والكبائر لاكفارة لها إلا التوبة النصوح ومن الحسنات العظيمة لمحو السيئات قيام الليل قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [١].

والزُّلَفُ : ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار الآخذة من الليل [٢] فهذه الآية وقوله ﷺ(**عليكمْ بقيامِ الليل فإنه دَأْبُ الصالحينَ قبلَكم وقربةٌ إلى ربِكم ومكفرةٌ للسيئات ومنهاةٌ عن الإثم**)[٣] دليلان على أن قيام الليل يكفر الله به السيئات .

أقول : الألف واللام لجنس الحسنات و صلاة الليل تدخل دخولا أوليا في هذه الحسنات والله أعلم .

ومن هذا الباب قوله ﷺ **(من قامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غفرَ لهُ ماتقدمَ من ذنبِه)**[٤].

قال الحافظ في الفتح :

(ظاهره يتناول الصغائر والكبائر وبه جزم ابن المنذر، وقال النووي : المعروف أنه يختص بالصغائر وبه جزم إمام الحرمين وعزاه عياض لأهل السنة ،قال بعضهم : ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة)[٥]، ومن هذا الباب كذلك قوله ﷺ **(من يقمْ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غفرَ لهُ ما تقدمَ من ذنبِه)**[٦] إذا فقيام الليل من أسباب تكفير تكفير السيئات .

رابعاً: جعل الله قيام الليل ذكراً وشكراً :

---

(١) سورة هود: ١١٤.

(٢) القاموس المحيط ١/ ٧٣٥.

(٣) حديث حسن تقدم تخريجه.

(٤) متفق عليه :أخرجه البخاري ك/ الإيمان ب/ تطوع قيام رمضان من الإيمان ١/ ٦٥ رقم ٣٦ وك/ صلاة التراويح ب/ فضل من قام رمضان ٧/ ١٣٤ رقم ١٨٧٠ ومسلم ك/ صلاة المسافرين ب/ الترغيب في قيام رمضان ٤/ ١٤٤،١٤٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) فتح الباري ٤/ ٢٩٦ .

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري ك/ الإيمان ب/ قيام ليلة القدر من الإيمان ١/ ٦١ رقم ٣٦ ومسلم ك/ صلاة المسافرين ب/ الترغيب في قيام رمضان ٤/ ١٤٦ رقم ١٢٦٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ [١] قال ابن الجوزي : وقرأ حمزةُ ﴿ يَذْكُر﴾ وهي في معنى يتذكر [٢]

أقول :وبمعناه قولـه ﷺ (من استيقظَ من الليل وأيقظَ أهلَهُ فصليا ركعتين جميعاً كتبا ليلتئذٍ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات) [٣].

وقيام الليل شكر والشاكر موعود بزيادة الخير ومثل هذه الآية قولـه ﷺ (أفلا أكونُ عبداً شكوراً!! لما قيلَ له وقد تفطرتْ قدماه من قيام الليلِ أتصنعُ هذا وقد غفر الله لك ماتقدمَ من ذنبك وما تأخر)[٤]

خامسا: جعل الله قيام الليل من صفات عباد الرحمن :

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾[٥] ، فمن كان عبدا للرحمن حقا فليبيت ساجدا وقائما وليقرأ ماتيسر من القرآن، وعن همام عن قتادة قال : (كان يقال : قلما سَاهرُ الليل منافقٌ)[٦] أي : قائمُ الليلِ .

أقولُ : لعل قول قتادة هذا مأخوذ من قولـه تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً) [٧] ، ، ومن قام الليل فقد ذكر الله كثيرا كما في حديث صلاة الرجل مع أهله ليلا المذكور سابقا، وبالله التوفيق.

سادسا :قيام الليل سبب يجعل النفوس طيبة تفيض بالخير :

قال ﷺ (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليلٌ طويلٌ فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة

---

(١) سورة الفرقان: ٦٢.

(٢) زاد المسير ١/ ١٠٢١.

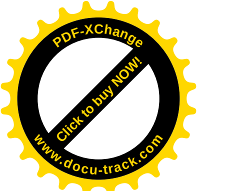
(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود ك/ التطوع ب/ قيام الليل ١/ ١٥٩ والنسائي في السنن الكبرى ١/ ٤١٣ وسنن ابن ماجه ١/ ٤٢٣ وابن حبان ٣٠٨/٦والحاكم في المستدرك ١/ ٤٦١ والبيهقي في السنن ٥٠١/٢ وشعب الإيمان ٣/ ١٢٦ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٣٢٨ عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما .

(٤) متفق عليه أخرجه البخاري ك/ التهجد ب/ قيام النبي ﷺ٤/ ٢٩٢ رقم ١٠٦٢ ومسلم ك/ ب/ إكثار الأعمال ١٣/ ٤٤١ رقم ٥٠٤٥ عن المغيرة بن شعبة ﷺ.

(٥) سورة الفرقان: ٦٤.

(٦) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧٥.

(٧) سورة النساء : ١٤٢.




فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيثَ النفسِ كسلان)[1] ،

قال النووي في شرح مسلم :

وقوله ﷺ - فأصبح نشيطا طيب النفس - معناه لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه وتصرفه في كل أموره مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه)[2].

سابعاً : قيامُ الليلِ شرفٌ للمؤمن :

ربط الله الشفاعة وهي المقام المحمود للنبي ﷺ يوم القيامة وهي عنوان الرفعة وغاية الشرف بقيام الليل فقال تعالى :﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً** ﴾[3]

كما قال ﷺ **(أتاني جبريلُ فقال:يامحمد عش ماشئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وأن عزه استغناؤه عن الناس)**[4]

قال صاحب الفيض شارحا هذا الحديث : قوله **[أتاني جبريل فقال لي يا محمد]** خاطبه به دون رسول الله أو النبي لأنه المناسب لمقام الوعظ والتذكير والإيذان بفراق الأحباب والخروج من الدنيا ودخول الآخرة والحساب والجزاء وبدأ بذكر الموت لأنه أفظع ما يلقاه الإنسان وأبشعه فقال **[عش ما شئت فإنك ميت]** بالتشديد والتخفيف أي آيل إلى الموت عن قرب فهو مجاز باعتبار ما يكون في المستقبل قريبا قطعا **[وأحبب]** بفتح الهمزة وكسر الموحدة الأولى[**من شئت**] من الخلق [**فإنك مفارقه**].

بموت أو غيره وما من أحد في الدنيا إلا وهو ضيف وما بيده عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة

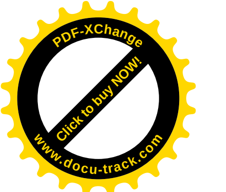
---

(١) متفق عليه : أ خرجه البخاري ك/بدء الخلق ب/ صفة إبليس وجنوده ١١٩٣/٣ رقم (٣٠٩٦) ومسلم ك/ صلاة المسافرين ب/ ماروي في من نام الليل أجمع حتى أصبح ٥٣٨/١ رقم (٧٧٦) كلاهما عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) شرح النووي على مسلم ٦/ ٦٦.

(٣) سورة الإسراء : ٧٩.

(٤) حديث حسن : أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٦٠ والطبراني في الأوسط ٤/ ٣٠٦ والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٤٩ و١٧١/٣ والشهاب في مسنده ١/ ١٢١ و ٤٣٥ جميعهم عن سهل بن سعد ﷺ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٩/١٠ إسناده حسن، وحسنه الألباني في الصحيحة ٢/ ٤٨٣حديث رقم ٨٣١ .




قال بعض أهل العلم : القصد بهذا تأديب النفس عن البطر والأشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزيله الموت فإنه إذا علم أن من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة بفراقه؛ شغل قلبه بحب من لا يفارقه، وهو ذكر الله فإن ذلك يصحبه في القبر فلا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أياما قلائل فالعمر قليل بالإضافة إلى حياة الآخرة وعند الصباح يحمد القوم السُّرى فلا بد لكل إنسان من مجاهده فراق ما يحبه وما فيه فرحه الدنيا وذلك يختلف باختلاف الناس فمن يفرح بمال أو جاه أو بقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والإفادة يترك أولا ما به فرحه ثم يراقب الله حتى لا يشتغل إلا بذكر الله والفكر فيه ويكف شهواته ووساوسه حتى يقمع مادتها ويلزم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا الموت [**واعمل ما شئت**] من خير أو شر [**فإنك مَجْزِيٌّ به**] بفتح الميم وسكون الجيم وكسر الزاي أي مقضي عليك بما يقتضيه عملك وبضم الميم وفتح الزاي منونا أي مكافأ عليه ولما ذكر الموت والمجازاة وخوف بما علم منه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الزلزلة أردفه ببيان أعظم نافع من تلك الأهوال فقال [**واعلم**] بصيغة الأمر إفادة لغير ما علم للدلالة على أنه تعلم وعلم لأن العلم لا يتم حتى يصل إلى الغير فيجمع فضل العلم والتعليم ذكره الحراني [**أن شرف المؤمن**] رفعته .

قال بعض أهل اللغة : من المجاز لفلان شرف وهو علو المنزلة [**قيامه بالليل**]أي علاه ورفعته إحياء الليل بدوام التهجد فيه والذكر والتلاوة وهذا بيان لشيء من العمل المشار إليه بقوله :

[**اعمل ما شئت**] ولما كان الشرف والعز أخوين استطرد بذكر ما يحصل به العز فقال [**وعزه**] قوته وعظمته وغلبته على غيره [**استغناؤه**] اكتفاؤه بما قسم له [**عن الناس**] أي عما في أيديهم ولهذا قال بعضهم : وقد سأله سائل : ما السلامة من الدنيا وأهلها ؟ قال : أن تغفر لهم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم ما في يدك وتكون مما في أيديهم آيسا ، قال بعض أهل العلم : ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان ففي القناعة العز والحرية ولذلك قيل :استغن عمن شئت فأنت نظيره واحتج إلى من شئت فأنت أسيره وأحسن إلى من شئت فأنت أميره، وقال بعضهم : الفقر لباس الأحرار والغنى بالله لباس الأبرار، والقيام : انتصاب القامة ولما كانت هيئة الانتصاب أكمل هيئات من له القامة وأحسنها استعير ذلك للمحافظة على استعمال الإنسان نفسه في الصلاة ليلا

فمعنى قيام الليل المحافظة على الصلاة فيه وعدم تعطيله باستغراقه بالنوم أو اللهو ، قال بعض أهل اللغة : قام على الأمر دام وثبت ، وقد تضمن الحديث :التنبيه على قِصرِ الأملِ ،والتذكيرِ بالموت، واغتنام العبادة ،وعدم الاغترار بالاجتماع، والحث على التهجد وبيان جلالة علم جبريل وغير ذلك، قال بعض أهل العلم : جمعت هذه الكلمات حكم الأولين والآخرين وهي كافية للمتأمل فيها طول العمر إذ لو وقف على معانيها وغلبت على قلبه غلبة يقين استغرقته وحالت بينه وبين النظر إلى الدنيا بالكلية والتلذذ بشهواتها) انتهى كلامه[١].

<u>**ثامنا : قيام الليل من أعظم أبواب الخير :**</u>

قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه (**ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا قوله تعالى ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** [٢] حتى بلغ **(يَعْمَلُونَ)**[٣].

فجنوبهم تتباعد عن المضاجع من خوف عذاب ربهم، وطمعا في فضله ورحمته سبحانه .

<u>**تاسعا : من قام الليل فهو لبيب يحذر الآخرة ويطمع في رحمة ربه :**</u>

يُفهم هذا من قوله تعالى :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٤]

أقول : قال بعض أهل اللغة الهمزة هنا لنداء القريب وعليه فقائم الليل قريب من ربه[٥].

---

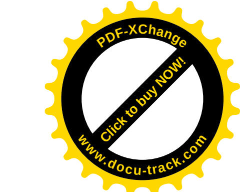
(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير(١/ ١٠٢) بتصرف واختصار.

(٢) سورة السجدة : ١٦.

(٣) حديث صحيح :أخرجه الترمذي ك/ الإيمان ب/ حرمة الصلاة ٩/ ٢٠٢ رقم ٢٥٤١ وابن ماجه ك/الفتن ب/ كف اللسان في الفتنة ١١/ ٤٦٩ رقم ٣٩٦٣ وأحمد في المسند ٤٥/ ١، ١٠٩ والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٨ وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٩٤ جميعهم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٤) سورة الزمر : ٩.

(٥) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١٨) تأليف : جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري - الناشر : دار الفكر - بيروت- الطبعة السادسة ، ١٩٨٥م- تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (يحذر الآخرة : أي عذاب الآخرة ، ويرجو رحمة ربه : فيها قولان : أحدهما : المغفرة ، والثاني : الجنة)[1].

وقال تعالى ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2].

قال ابن الجوزي (في الصلاة المذكورة أربعة أقوال :أحدها :أنها نزلت في المتهجدين بالليل،الثاني : أنها نزلت في بعض الصحابة كانوا يصلون بين المغرب والعشاء، الثالث : أنها صلاة العشاء، الرابع : صلاة الفجر وصلاة العشاء)[3].

عاشرا : قيام الليل سبب للنجاة من مضلات الفتن :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: **(استيقظ رسول الله ﷺ ليلة وفي رواية فزعاً يقول : سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الخزائن ماذا أنزل الليلة من الفتن – يارُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة – من يوقظُ صُواحبَ الحجرات يريدُ أزواجه لكيْ يصلين)**[4].

بعض المعاني التي يشير إليها الحديث :

قال الحافظ في فتح الباري :

قَوْله : (**سُبْحَان اللَّه مَاذَا**) مَا اِسْتِفْهَامِيَّة مُتَضَمِّنَة لِمَعْنَى التَّعَجُّب وَالتَّعْظِيم ، قَوْله : **(وَمَاذَا فُتِحَ مِنْ الْخَزَائِن**) قَالَ الدَّاوُدِيّ : الثَّانِي هُوَ الأَوَّل ، وَالشَّيْء قَدْ يُعْطَف عَلَى نَفْسه تَأْكِيدًا ؛ لأَنَّ مَا يُفْتَح مِنْ الْخَزَائِن يَكُون سَبَبًا لِلْفِتْنَة ، وَكَأَنَّهُ فَهِمَ أَنَّ الْمُرَاد بِالْخَزَائِنِ خَزَائِن فَارِس وَالرُّوم وَغَيْرهمَا مِمَّا فُتِحَ عَلَى الصَّحَابَة ؛ لَكِنَّ الْمُغَايَرَة بَيْن الْخَزَائِن وَالْفِتَن أَوْضَح لأَنَّهُمَا غَيْر مُتَلازِمَيْنِ ، وَكَمْ مِنْ نَائِل مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِن سَالِم مِنْ الْفِتَن قَوْله : (**فَرُبَّ كَاسِيَة**)اِسْتَدَلَّ بِهِ اِبْن مَالِك عَلَى أَنَّ رُبَّ فِي الْغَالِب لِلتَّكْثِيرِ ؛ لأَنَّ هَذَا الْوَصْف لِلنِّسَاءِ وَهُنَّ أَكْثَر أَهْل النَّار اِنْتَهَى، وَهَذَا يَدُلّ لِورودِهَا فِي التَّكْثِير لا لأَكْثَرِيَّتهَا فِيهِ .

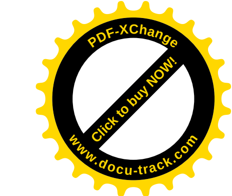
---

(١) زاد المسير ١/١٢٢٥.

(٢) سورة السجدة : ١٦.

(٣) زاد المسير ١/ ١١٠٨.

(٤) صحيح البخاري ك/ التهجد ب/ تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل ٤/ ٢٨٧ رقم ١٠٥٨ وك/ الفتن ب/ لايأتي زمان إلا والذي بعده شر منه ٢١/٤٥٨رقم ٦٥٤٢وك/ اللباس ب/ ماكان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبسط ١٨/١٧١رقم ٥٣٩٦ ومواضع أخر عن أم سلمة رضي الله عنها .

وَأَشَـارَ ﷺ بِـذَلِكَ إِلَـى مُوجِـب إِيقَـاظ أَزْوَاجِـه ، أَيْ : يَنْبَغِـي لَهُـنَّ أَنْ لا يَتَغَـافَلْنَ عَـنْ الْعِبَـادَة وَيَعْتَمِدْنَ عَلَـى كَوْنِهنَّ أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ ، وَفِي الْحَدِيث : جَوَاز قَوْل : " سُبْحَان اللَّه " عِنْد التَّعَجُّب ، وَنَدْبِيَّة ذِكْر اللَّه بَعْد الاسْتِيقَاظ ، وَإِيقَاظ الرَّجُل أَهْله بِاللَّيْلِ لِلْعِبَادَةِلا سِيَّمَا عِنْد آيَة تَحْدُث .

وَفِي الْحَدِيث اِسْتِحْبَاب الإِسْرَاع إِلَى الصَّلاة عِنْد خَشْيَة الشَّرّ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة)[١] وَكَانَ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْر فَزِعَ إِلَى الصَّلاة ، وَأَمَرَ مَنْ رَأَى فِي مَنَامه مَا يَكْرَه أَنْ يُصَلِّيَ ، وَسَيَأْتِي ذَلِكَ فِي مَوَاضِعه ،وَفِيهِ التَّسْبِيح عِنْد رُؤْيَة الأَشْيَاء الْمَهُولَة ، وَفِيهِ تَحْذِير الْعَالِم مَنْ يَأْخُذ عَنْـهُ مِنْ كُلّ شَـيْء يَتَوَقَّـع حُصُوله ،وَ الإِرْشَاد إِلَـى مَـا يَـدْفَع ذَلِـكَ الْمَحْذُور وَاَللَّه أَعْلَم) اهـ باختصار[٢]

وقال ابن بطال في شرح الحديث:

(ودلّ حديث أم سلمة على الوجه الذى يكون بـه الفساد، وهو ما يفتح الله عليهم من الخزائن، وأن الفتن مقرونة بها، ويشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [٣] فمن فتنة المال ألا ينفق فى طاعة الله، وأن يمنع منه حق الله، ومن فتنته السرف في إنفاقه ألا ترى قوله ﷺ: (رُبّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)، قال المهلب: فأخبر أن فيما فتح من الخزائن فتنة الملابس، فحذّر - صلى الله عليه وسلم - أزواجه وغيرهن أن يفتن في لباس رفيع الثياب الذي يفتن النفوس في الدنيا رقيقها وغليظها، وحذّرهن التعري يوم القيامة منها ومن العمل الصالح، وحضّهن بهذا القول أن يقدمن ما يفتح عليهن من تلك الخزائن للآخرة وليوم يحشر الناس عراةً، فلا يكسى إلا الأول فالأول في الطاعة والصدقة، والإنفاق في سبيل الله، فمن أراد أن تسبق إليه الكسوة فليقدمها لآخرته، ولا يذهب طيباته في الدنيا وليرفعها إلى يوم الحاجة) انتهى كلامه [٤].

قال المباركفو ي في شرح الترمذي :

---

(١) سورة البقرة : ٤٥ .

(٢) فتح الباري ١/ ١٨٤ باختصار يسير.

(٣) سورة العلق : ٦، ٧.

(٤) شرح ابن بطال ١٩/ ١٥.

(يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ) قيلَ: الْمُنَادَى فيه مَحْذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ يَا سَامعين وَرُبَّ للتَّكْثير (عاريَةٌ في الآخرَةِ) قَالَ عِيَاضٌ : الأكْثَرُ بِالْخَفْضِ عَلَى الْوَصْفِ لِلْمَجْرُورِ بِرُبَّ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : الأوْلَى الرَّفْعُ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدأٍ وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ النَّعْتِ أَيْ هِيَ عَارِيَةٌ وَالْفِعْلُ الَّذِي يَتعلَّقُ بِهِ رُبَّ مَحْذُوفٌ، وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ : الأحسَنُ الْخَفْضُ عَلَى النَّعْتِ لأَنَّ رُبَّ حَرفُ جَرٍّ يَلْزَمُ صَدْرَ الْكَلامِ ، وهَذَا رَأْيُ سِيبَوَيْهِ ، وَعِنْدَ الْكِسَائِيِّ هُوَ اسْمٌ مُبْتَدأٌ وَالمرفوعُ خَبَرُهُ وإِلَيْهِ كَانَ يَذْهَبُ بَعْضُ شُيُوخِنَا انْتَهَى ، وَأَشَارَ ﷺ بِذَلِكَ إِلَى مُوجِبِ اسْتِيقَاظِ أَزْوَاجِهِ ، أَيْ يَنْبَغِي لَهُنَّ أَنْ لا يَتَغَافَلْنَ عَنْ الْعِبَادَة ويَعْتَمِدْنَ عَلَى كَوْنِهِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ الْحَافِظُ : وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ كَاسِيَةٍ وَعَارِيَةٌ عَلَى أَوْجُهٍ :

أَحدُهَا: كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا بِالثِّيَابِ لِوُجُودِ الْغِنَى ، عَارِيَةٌ فِي الآخرَةِ منْ الثَّوَابِ لِعَدَمِ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا .

ثَانيهَا: كَاسِيَةٍ بِالثِّيَابِ لَكِنَّهَا شَفَّافَةٌ لا تَسْتُرُ عَوْرَتَهَا فَتُعَاقَبُ فِي الآخِرَةِ بِالْعُرْيِ جَزَاءً عَلَى ذَلِكَ .

ثَالثُهَا: كَاسِيَةٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ ، عَارِيَةٌ مِنْ الشُّكْرِ الَّذِي تَظْهَرُ ثَمَرَتُهُ فِي الآخِرَةِ بِالثَّوَابِ .

رَابعُهَا:كَاسِيَةٍ جَسَدَهَا لَكِنَّهَا تَشُدُّ خِمَارَهَا مِنْ وَرَائِهَا فَيَبْدُو صَدْرُهَا فَتَصِيرُ عَارِيَةً فَتُعَاقَبُ فِي الآخرَة .

خَامسُهَا : كَاسِيَةٍ مِنْ خِلْعَةِ التَّزَوُّجِ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ ، عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْعَمَلِ ، فَلا يَنْفَعُهَا صَلاحُ زَوْجِهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :(فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ)[١] ذَكَرَ هَذَا الأخِيرَ الطِّيبِيُّ وَرَجَّحَهُ لِمُنَاسَبَةِ الْمَقَامِ ، وَاللَّفْظَةُ وَإِنْ وَرَدَتْ فِي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ لَكِنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ الْمَفْتُوحَ من الْخَزَائِنِ تَنْشَأُ عَنْهُ فِتْنَةُ الْمَالِ بِأَنْ يُتَنَافَسَ فِيهِ فَيَقَعَ الْقِتَالُ بِسَبَبِهِ وَأَنْ يَبْخَلَ بِهِ فَيَمْنَعَ الْحَقَّ ، أَوْ يَبْطَرَ فَيُسْرِفَ فَأَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْذِيرَ أَزْوَاجِهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَكَذَا غَيْرَهُنَّ مِمَّنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ ، وَفِي الْحَدِيثِ النَّدْبُ إِلَى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ عِنْدَ نُزُولِ الْفِتْنَةِ وَ لا سِيَّمَا فِي اللَّيْلِ لِرَجَاءِ وَقْتِ الإِجَابَةِ لِتُكْشَفَ أَوْ يَسْلَمَ الدَّاعِي ، وَمَنْ دَعَا لَهُ) انتهى كلامه باختصار[٢].

---

(١) سورة المؤمنون:١٠١.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ك/ الفتن / ب/ ماجاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم ٥/ ٤٨٤ وفتح الباري١٣/٢٣.

أقول : سمعتُ شيخنا / العلامة عبد المجيد بن عزيز الزنداني نفع الله به يقول : أحاديث أشراط الساعة فسر أهل العلم ألفاظها وفق ظروفهم وأحوالهم لكنها تفسر نفسها بوقوعها مطابقة لما أخبر به النبي ﷺ من غير تأويل ولاتكلف فالواجب عدم التكلف في تفسيرها والله الموفق.

أقول : وظاهر ألفاظ هذا الحديث التعجب من كثرة الأموال التي ستكون بأيدي الناس بما فيهم المسلمون، والمال فتنة هذه الأمة، والنفط مشكلة هذه الآونة كما نرى ونسمع، وهذا الذي يُفهم من كلمة الخزائن أنها الأموال كما فسرها ﷺ في الحديث الآخر **(أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي)** [1] ويُفهم من اسم الاستفهام ماذا التعجب من كثرة الفتن والشرور كالعداوة والبغضاء والقتل بغير حق، وكثرة الشهوات والشبهات المانعة عن طاعة الله ورسوله لتي تقع فيها أمة الإسلام، وفي الحديث التعجب كذلك من كثرة المحن التي تنزل بأمة الإسلام من ذل، وقتل، وخسف، ونهب أرض، وهتك عرض، وأخذ مقدسات، وجميع هذه الفتن سواء ماكان منها بالخير أو بالشر فالنجاة منها اللجوءُ إلى اللهِ والفزع إليه في صلاة الليل، والتمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ والعمل بهما، والدعوة إليهما، والصبر على الأذى في سبيلهما، والذب عنهما.

وقوله (ياربَّ كاسيةٍ) رب للتقليل عند الأكثر، وقال ابن مالك و ابن هشام : هي هنا للتكثير [2] .

أقول: والذي يظهر لي من ظاهر اللفظ : أنه ذم لمن تظهر الحشمة والعفة وهي بغير تلك الصفة فهي تلبس كساء محتشما في الدنيا لكن تظهر حقيقتها يوم تبلى السرائر لأن كثرة اللباس أمر مباح بل مندوب ولايُذم ويكون المقصود بقوله عارية في الآخرة ماورد في حديث سمرة رضي الله عنه مرفوعا (ومررت على مثل التّنور وفيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ :فقلتُ ماهذا ؟ فقيل : الزانياتُ والزواني)[3] فنسأل الله أن يصلحنا والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وأن يحفظنا من أسباب سخطه، ومقته في السر، والعلانية آمين ،

---

(١) صحيح البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ قول النبي ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر ١/ ٤٩٢ رقم ٢٩٧٧ عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) مغني اللبيب ١/ ٥١.

(٣) صحيح البخاري / ك/ التعبير ب/ تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح عن سمرة رضي الله عنه تقدم تخريجه قريبا .

وهذا الحديث من جوامع الكلم فالمال، والنساء من أخطر الشهوات، ولذا حذر منهما ﷺ وبين طريق النجاة من الهلاك بسببهما والله أعلم .

وجه الدلالة من الحديث :

أهمية قيام الليل في تربية الأسرة المسلمة لما فيه من تطهير النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل، وخصوصا في هذا الزمان الذي يكاد أن يتحقق فيه هذا الحديث وينطبق على أحوال الأمة من دون أدنى تكلف والله أعلم .

الحادي عشر : قيام الليل اقتداء بسنة النبي ﷺ :

تقول عائشة: رضي الله عنها لعبد الله بن أبي قيس من التابعين **(لاتدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدا)**[١].

وقد رغبنا الله في الاقتداء بسنته ﷺ فقال تعالى **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [٢].

الثاني عشر : من قام الليل لم ينس القرآن :

قال ﷺ **(من لم يقم بالقرآن الليل والنهار نسيه)**[٣]، وقد ذم رسول الله ﷺ من حفظ القرآن ولم يقم به في قوله ﷺ **(ومررت على رجل يُثلغُ رأسه فقلت ماهذا ؟ فقيل : لي هذا الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة)**[٤] ومعنى "يُثْلَغُ رأسه" أي يُشدَخ[٥].

الثالث عشر : قيام الليل سبب لإجابة الدعاء :

قال تعالى **﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً،إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ،فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ،وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾**[٦] ،قال الشوكاني -رحمه الله- في فتح القدير : (والمعنى : أنه يرغب إليه سبحانه لا إلى غيره كائنا من كان فلا يطلب حاجاته إلا منه ولا يعول في جميع أموره إلا عليه إلى

---

(١) موقوف صحيح : أخرجه أبو داود ك/ التطوع ب/ قيام الليل ١/ ١٥٩ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٣٣١ عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١.

(٣) أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما وسبق تخريجه قريبا .

(٤) صحيح البخاري / ك/ التعبير ب/ تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح عن سمرة رضي الله عنه وتقدم تخريجه قريبا.

(٥) انظر: فتح الباري(١ / ٩٥).

(٦) سورة الانشراح : من ٥ - ٨.

أن قال في الروايات : وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ الآية قال **: إذا فرغت من الصلاة فانصبْ في الدعاء واسأل الله وارغب إليه**

وأخرج ابن أبي الدنيا في الذكر عن ابن مسعود ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ إلى الدعاء ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ في المسألة وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ **قال : إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل)**[1].

والدليل من السنة عن عقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(الرجل من أمتي يقوم الليل يعالج نفسه إلى الطهور وعليه عقد فإذا وضأ يديه انحلت عقدة وإذا مسح رأسه انحلت عقدة وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الله عزوجل للذين وراء الحجاب : انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ويسألني ما سألني عبدي هذا فهو له)**[2]

وعن عمرو بن عبسة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : **(أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن)**[3]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **﴿ يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له)**[4].

الرابع عشر : من صلى لله آناء الليل وأطراف النهار أرضاه ربنا سبحانه :

قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[5]

قال ابن الجوزي في قوله تعالى ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم ﴿ تَرْضَى ﴾ بفتح التاء وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم بضمها[6] . وقال الزمخشري (ولعل للمخاطب أي : أذكر الله في هذه الأوقات طمعا ورجاء

---

(١) فتح القدير ٥/ ٦١٣ مؤسسة الريان / بيروت / لبنان / ط/ الثالثة / ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد وابن حبان انظر صحيح الترغيب ١/ ٣٣١.

(٣) حديث صحيح: رواه الترمذي وابن خزيمة انظر صحيح الترغيب ١/ ٣٢٩.

(٤) أخرجه البخاري ك/ الدعوات ب/ الدعاء نصف الليل ١/ ١١٠٠.

(٥) سورة طه : ١٣٠.

(٦) زاد المسير ١/ ٩٢٢.

ورجاء أن تنال عند الله مابه ترضى نفسُك ويسر قلبك وقرئ : ﴿تُرْضَى ﴾: أي يرضيك ربك .[١]

أقول : وقراءة الضم فيها الشاهد لما أريد وهي قراءة متواترة ومعناها : من قام ليله أرضاه ربه فأي خير يغفل عنه المسلم عندما لايصلي بالليل وحذف معمول الفعل يفيد العموم في الأزمنة أي أن الله يرضيه في الدنيا والآخرة والله أعلم .

السادس عشر : من قام الليل أحبه ربنا سبحانه وتعالى :

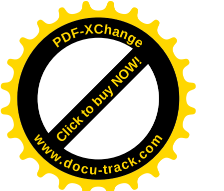
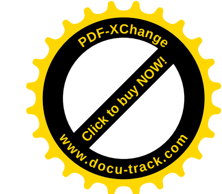
يقول الله تعالى في الحديث القدسي **(ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)**[٢] ، وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم؛ الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عزوجل فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول : انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ؟ والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيقول : يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء)**[٣].

---

(١) الكشاف ١/ ٦٧٠.

(٢) صحيح البخاري ك/ الرقاق ب/ التواضع ٢٠/ ١٢٦ عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) حديث حسن : صحيح الترغيب ١/ ٣٢٩.

الفصل الثاني

صور مختصرة عن قيام الليل في حياة النبي ﷺ وبعض الصحابة

المبحث الأول

قيام النبي ﷺوعبادته في الليل

قال ابن الجوزي رحمه الله متحدثا عن اجتهاد النبي ﷺ في عبادة ربه عزوجل :(سُئلتْ عائشةُ رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يخص شيئا من الأيام ؟ قالت : لا كان عمله ديمةً وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق !! [(١)]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ قال : فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال ابن عباس رضي الله عنهما : فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح [(٢)] ،وعن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ من التطوع فقالت :كان يصلي قبل الظهر أربعا في بيتي ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين وكان يصلي بهم العشاء ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر وكان يصلي ليلا طويلا قائما وليلا طويلا جالسا فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين ثم يخرج فيصلي بالناس صلاة الفجر [(٣)]وعن حميد قال : سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل فقال :ما كنا نشاء من الليل أن نراه مصليا إلا رأيناه وما كنا نشاء أن نراه نائما إلا رأيناه وكان يصوم

---

(١) أخرجه مسلم ك/ الصلاة ب/ فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ١/٥٤١ رقم (٧٨٣).

(٢) أخرجه مسلم ك/ صلاة المسافرين ب/ الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٥٢ رقم (٧٦٣).

(٣) أخرجه مسلم ك/ الصلاة ب/ جواز النافلة قائما وقاعدا ١/٥٠٤ رقم (٧٣٠).

من الشهر حتى نقول لا يفطر شيئا [١] ،وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : صليت مع النبي ذات ليلة فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء قلنا : ما هممت ؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه [٢] ، وعن حذيفة ﷺ قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة قال : ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة فمضى ، فقلت : يركع بها ثم افتتح (النساء) فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بآية فيها سؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال : سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبا من قيامه وسورة النساء في هذا الحديث مقدمة على آل عمران وكذلك هي في مصحف ابن مسعود ، و كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها : يارسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا !! [٣]

قلت: أورد هذه الأحاديث بهذا السياق ابن الجوزي[٤].

أقول : وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يسجد السجدة الواحدة قدر ما يقرأ القارئ خمسين آية[٥] فهو صلى الله عليه وسلم سيد العابدين والأولين والآخرين، وعن علي ﷺ قال : ماكان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح[٦].

يقول ابن رواحه ﷺ مادحا رسول الله ﷺ :

وفينا رسول الله يتلو كتابه*إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا* به موقنات أن ما قال واقـع

---

(١) متفق عليه . أخرجه مسلم ك/ الصيام ب/ صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان ٨١١/٢رقم (١١٥٧).

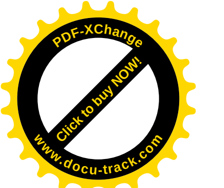
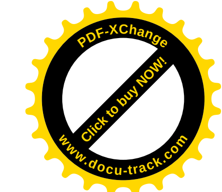
(٢) أخرجه مسلم ك/ الصلاة ب/ استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٥٣٧/١ رقم (٧٧٣).

(٣) صحيح البخاري ك/ التهجد ب/ قيام النبي ﷺ الليل ٤/ ٢٩٢ رقم (١٠٦٢).

(٤) انظر: صفة الصفوة ١/ من ٩٨ إلى ١٠١ تأليف: أبو الفرج بن الجوزي الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت / ط الأولى / ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

(٥) صحيح البخاري ك/ التهجد ب/ طول السجود في قيام الليل عن عائشة رضي الله عنها .

(٦) حياة الصحابة ١/ ٣٩٤ وعزاه لابن خزيمة عن علي رضي الله عنه .

يبيت يجافي جنبه عن فراشه* إذا استثقلت بالمشركين المضاجع [1]

وقال آخر :

سلامٌ على المبعوث للناس رحمةً* لينقذ من مهوى الردى من توردا

سلام على من قام بالوحي منذراً *و قام به جنح الدجـى متهجداً

سلامٌ على من كلف العرب سورةً * تشابهه نظـماً فكلٌ تبلدا

سلامٌ على الأتي منَ آيات ربـه * بما راع من رام اعتداءً ليجحدا

سلامٌ على من عود العادات خرقها* فكان له من ربه ما تعودا

سلامٌ على من أظهرَ الله صدقه *و شقّ له البدر المنير ليشهدا

---

(١) صحيح البخاري ك/ الأدب ب/ هجاء المشركين ٥/٢٢٧٨ رقم (٥٧٩٩) عن أبي هريرة ﷺ.

المبحث الثاني

قيام الليل عند الصحابة رضي الله عنهم

أولا : قيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

كان الصديق رضي الله عنه إذا قرأ القرآن سالت دموعه على خديه ، ولذلك طلبت قريش من ابن الدُغُنَّة [(١)] عند ما أجار الصديق منهم مايلي :

(مر أبابكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولايستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنه لأبي بكر فلبث أبوبكر بذلك يعبد ربه في داره ولايستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره . ثم بدا لأبي بكر رضي الله عنه فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لايملك عينيه إذا قرأ القرآن ثم اشتكت قريش فرد جوار ابن الدغنه) [(٢)].

وهو من أوائل الصحابة الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[(٣)].

وقد كان معلوما عند الصحابة أن الصديق ﷺ كان من أسبق الناس إلى الخيرات ومنها قيام الليل ، وقد سمعه النبي ﷺ ليلة وهو يقرأ بصوت منخفض فسأله لماذا ؟فأجاب : قائلا : قد أسمعت من أناجي يارسول الله ، فقال له رسول الله ﷺ ارفع شيئاً وقال لعمر ﷺ: اخفض شيئاً[(٤)].

و عن الشعبي قال : قلت لابن عباس - رضي الله عنهما - من أول الناس إسلاما؟

---

(١) أم ربيعة بن رُفيع الذي أجار أبا بكر رضي الله عنه .

(٢) صفة الصفوة ١/ ٦٤.

(٣) سورة المزمل : ٢٠.

(٤) حديث صحيح: أخرجه الترمذي ك/ الصلاة ب/ ماجاء في قراءة الليل ٢/٣٠٩ رقم (٤٤٧) عن أبي هريرة ﷺ.




فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت – رضي الله عنه - :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة *فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالي الثاني المحمود مشهده *وأول الناس طرا صدق الرسلا

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد* طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

خير البـرية أتقاها وأرأفها * بعد النبـي وأوفاها بما حملا

عاش حميدا لأمر الله متبعاً * بهدي صاحبه الماضي وما انتقلا [١]

ثانيا : قيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عن سعيد بن المسيب :قال : كان عمر بن الخطـاب ﷺ يحب الصـلاة في جوف الليل يعني وسط الليل[٢] وروى مالك في الموطأ من طريق زيد بن أسلم عن أبيه :

(أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم الصلاة الصلاة ثم يتلو هذه الآية :

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[٣][٤]

ثالثا : قيام عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عن الزبير بن عبد الله عن جدة يقال لها رُهَيمَة قالت : كان عثمانُ ﷺ يصومُ الدهرَ ويقومُ الليلَ إلا هجعةً من أوله ، وعن ابن سيرين قال قالت زوجة عثمان ﷺ كان يحي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن[٥] .

أقول : وقد ذكر بعض المفسرين أنـه المقصـود بقولـه تعالى **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَـاءَ اللَّيْلِ سَـاجِداً وَقَائِمـاً يَحْذَرُ الآخِـرَةَ وَيَرْجُـو رَحْمَـةَ رَبِّـهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُـونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾** [٦].

قال ابن كثير رحمه الله :

---

(١) انظر تأريخ الطبري ١/ ٣٩٥وديوان حسان بن ثابت (١/ ١٧٤) دار صادر – بيروت .

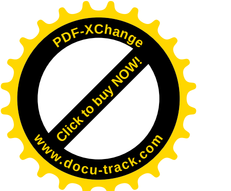
(٢) صفة الصفوة ١/ ١٤٩.

(٣) سورة طه : ١٣٢.

(٤) موطأ مالك ١/١١٩.

(٥) صفة الصفوة ١/ ١٥٨.

(٦) سورة الزمر : ٩ .




قال ابن عمر رضي الله عنهما : ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وإنما قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة[١].

رابعا : قيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان النبي ﷺ يرغب أقاربه في قيام الليل فقد دخل ليلة على علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال : **ألا تصليان ؟** فقال علي رضي الله عنه : أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليَّ شيئا ثم سمعته وهو مولٍّ يقول [٢]:﴿ وَكَانَ الإنسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [٣].

قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب :

قال معاوية رضي الله عنه لضرار الصدائى يا ضرار صف لي عليا رضي الله عنه قال أعفني يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه .... وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري ألي تعرضت أم إليّ تشوقت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لارجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق [٤]

يقول الإمام الشوكاني مشيرا إلى قيام علي رضي الله عنه وتهجده في أبيات أرسلها إلى محمد ابن أبي الرجال يقول فيها :

صدَرت مُخبِّرَةً عن الأمر الذي* يشكوهُ ابن أبي الرِّجالِ مُحمدُ

و إليكَ يا فَخرَ الأنامِ بَعثُتها * فانظرْ لتَعلمَ أيُّنا المتَشَدِّدُ

و لَربّما دَارت رحى حكمٍ على*رجلٍ فظلَّ عن الحقيقة يَشرُدُ

دأبَ الزمانُ و أهلهُ أن يثلُموا *مَن ذا يُطيقُ لكُلِّ ثُلمٍ يسدد

فإذا سمعت مقالةً مُعوجَّةً * في شأنِ حُكمٍ قالها من يَنقُدُ

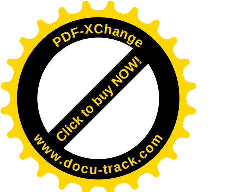
---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٢.دار المعرفة / بيروت / لبنان / ط الأولى / ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٢) صحيح البخاري ك/ التهجد ب/ تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب ٣٧٩/١ رقم (١٠٧٥) عن علي رضي الله عنه.

(٣) سورة الكهف : ٥٤.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١١٠٧، ١١٠٨ بإختصار يسير .





فاعلم بأنَّ النَّاس محكوٌم لهُ * يَرضى و محكومٌ عَليهِ مُكمَّدُ
تاللهِ ما رضيوا مَقالَ مُحمّدٍ * و هو الرَّسول و قولهُ لا يُردَدُ
كلاّ و لا رضيوا مَقالةَ حَيدرٍ * و هو الإمامُ المرتَضى المُتهجِّدُ
فمتى ترَاهم يَرتضونَ مقالتي* من دُونِ أن يأتُوا بما لا يُوجدُ
وعليكَ يا بن الأكرَمَين تحيَّةٌ * منِّي و ذاكَ هُو السَّلام السَّرمدُ [١]

خامسا: قيام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

عن ابن أبي مليكة قال :(صحبت ابن عباس رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل فسأله أيوب : كيف كانت قراءته ؟ قال : قرأ ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾[٢] فجعل يرتل ويكثر في النشيج)[٣].

سادسا: قيام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

عن عون بن عبد الله عن أخيه عبيد الله قال : كان عبد الله إذا هدأت العيون قام فسمعت له دوياً كدوي النحل [٤] وكان ﷺ يقول : (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس يفطرون)[٥].

سابعا: قيام عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما :

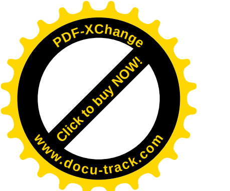
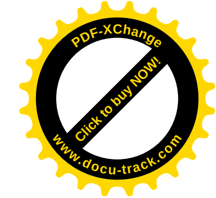
قال ابن الماجشون : قسم ابن الزبير الدهر على ثلاث ليال فليلة هو قائم حتى الصباح وليلة هو راكع حتى الصباح وليلة هو ساجد حتى الصباح)[٦].

ثامنا:قيام أبي هريرة رضي الله عنه الليل :

عن أبي عثمان النهدي قال : تضيفت أبا هريرة سبعا فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثا يصلي هذا ثم يوقظ هذا ويصلي هذا ثم يوقظ هذا)[٧].

---

(١) موسوعة الشعر العربي من مصادره الأصلية /شركة آل عبد اللطيف .قرص مدمج .
(٢) سورة ق : ١٩.
(٣) تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء١/ ٣٣١.
(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٤ .
(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٢٣١ .
(٦) تحفة العلماء ١/ ٣٣١.
(٧) تحفة العلماء ١/ ٣٣٠.

الفصل الثالث

فوائد قيام الليل النفسية والبدنية

تمهيد :

أمر الله عزوجل من أصابه كرب وشدة وحزن وضيق أن يستعين بأمرين :

هما الصبر والصلاة قال تعالى ﴿ **وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾[(١)]

وذكر الإمام الطبري في تفسير هذه الآية [(٢)](أن ابن عباس رضي الله عنهما نُعي إليه أخوه قُثم، وهو في سفر، فاسترجع ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول ﴿ **وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾[(٣)] ،وفي سنن أبي داود أنه ﷺ **(كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)**[(٤)] **الصلاة)**[(٤)]

أقول : ومثل هذه الآية قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ [(٥)] ولا يضيق الصدر إلا من شدة ،وصلاة الليل تجعل النفس طيبة، والبدن نشيطا كما قال ﷺ عن الذي يذكر الله ثم يتوضأ ثم يصلي من الليل **(فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)**[(٦)].

وهذه كلمات وإشارات مقتضبة جدا عن فوائد الصلاة النفسية والبدنية أنقلها من باب التنبيه فقط لاالاستقصاء لأن هناك بحوثا كثيرة مطبوعة وغير مطبوعة من أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تتحدث عن فوائد الصلاة الصحية والنفسية لكني سوف أذكر مقتطفات فقط ومن أراد المزيد فليرجع إلى موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على الانترنت وبالله التوفيق .

---

(١) سورة البقرة : ٤٥.

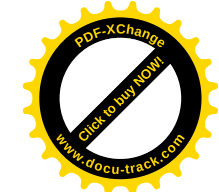
(٢) جامع البيان ١/ ١٤ .

(٣) سورة البقرة : ٤٥.

(٤) حديث حسن : سنن أبي داود ك/ ب/ وقت قيام النبي ﷺ ٤/ ٨٨حديث رقم ١١٢٤ومسند أحمد ٢٧٩/٤٧وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٧٠٣ عن حذيفة ﷺ.

(٥) سورة الحجر : ٩٧- ٩٨.

(٦) أخرجه البخاري تقدم تخريجه قريبا .

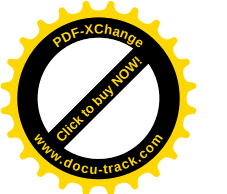
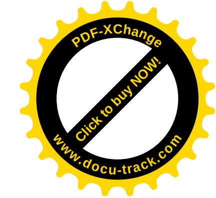
الإمام ابن القيم يتحدث عن فوائد الصلاة الصحية والنفسية:

وقبل الحديث عن هذه الفوائد الصحية والنفسية للصلاة أذكر كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى حيث يقول في هذه المسألة :

(ولاريب أن الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن وإذابة أخلاطه وفضلاته ماهو من أنفع شيئ له سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان وسعادة الدنيا والآخرة وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة ومن أنشط شيئ للبدن والروح والقلب كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة ثانية فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) انتهى كلامه بلفظه [١].

---

(١) الطب النبوي القسم الثاني / العلاج بالأدوية الروحانية ١/ ١٢٧.

المبحث الأول

بعض الفوائد النفسية للصلاة عموما

يقول د/ زهير قرامي[١] في كتابه الاستشفاء بالصلاة:

تقوم الصلاة بخفض التوتر والقلق النفسي إلى مستويات قياسية بالوسائل التالية:

الوسيلة الأولى : التركيز الذهني في الصلاة يؤدي إلى تحكم مراكز القشرة المخية كـ (مراكز عليا) في عمل المراكز الأدنى كـ (تحت المهاد) مما يجعل الجسم في حالة خشوع تام وهذا طريق داخلي للاسترخاء بالتركيز الذهني في أجواء الصلاة الروحانية الهادئة[٢].

الوسيلة الثانية : الانشغال بالاستعداد للصلاة والدخول فيها والانتظار خلفها للأذكار يستغرق حوالي (٢٥) دقيقة في المتوسط وطيلة هذه الفترة الزمنية يكون المسلم مقبلا على عبادته منصرفا عن مشاغل الحياة ومافيها من توتر وجهد موجودة أو متوقعة وهذا الوضع يجعل الجهاز (الودي) الخاص بالتوترات في حالة هدوء ويكون الجهاز (غير الودي) هو المتغلب في حالة الجسم في تلك الفترة الهادئة ويؤدي هذا الهدوء إلى تغيرات بيولوجية إيجابية في الجسم وقد قام أحد أكبر الباحثين في أمراض القلب وعلاجها بالاسترخاء واسمه (كاروتير) (carruthe rs) بالتوصل إلى أن جلسات استرخائية لعدة مرات يوميا تؤدي إلى تغيرات إيجابية في الجسم.[ويمكن القول أن المسلم في أوقات الصلاة في حالة استرخاء وهدوء نفسي تام]، وتؤدي هذه الجلسات الاسترخائية إلى انخفاض ضغط الدم ونقص نبضات القلب ونقص إفراز الدهون والسكر والزلال ونقص إفراز الكاتيكولامين والكورتيزون ونقص التخثر في الدم وزيادة الإفراز للتستوستيرون والأنسولين وفي حالة الإرهاق والشدة النفسية يحصل العكس . انظر جدول كاروتير[٣]

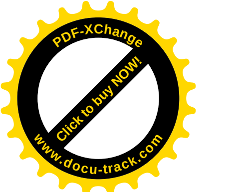
الوسيلة الثالثة : تغيير الحركة من قيام وركوع وسجود وتورك يقوم بتهدئة التوتر وقد ثبت أن تغيير الحركة مع مراقبة الجسم بجهاز خاص يسمى (بيوفدباك) يحدث استرخاءً

---

(١) أخصائي في أمراض المفاصل والروماتيزم بمستشفى الملك عبد العزيز .

(٢) انظر: كتاب الاستشفاء بالصلاة / الفصل الثاني / الصلاة وعلاج الأمراض العصبية والنفسية (١/ ٥٣) تأليف لدكتور / زهير قرامي رابح الناشر: هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي ، بمكة المكرمة ، وهو متاح على الانترنت.

(٣) نفس المصدر بتصرف واختصار ١/ ٥٤.




فسيولوجيا مهما أشار إلى هذا د/ محمد يوسف خليل في بحثه العلاج النفسي بالصلاة .في المؤتمر الأول للإعجاز الطبي في القرآن والسنة .

الوسيلة الرابعة :

نقص كمية الأدرينالين التي تفرز أثناء الوقوف في الحياة اليومية وفي الصلاة ركوع وسجود وجلوس لايحتاج إلى نفس المستوى من الإفراز .

الوسيلة الخامسة :

الصلاة تشتمل على تلاوة القرآن والقرآن شفاء لما في الصدور وقد أجرى د/ أحمد القاضي تجارب في عيادات (أكبر) في بنما سيتي بولاية (فلوريدا) وكانت النتائج كالتالي :

النتيجة الأولى :

أن الجلسات الصامتة التي لم يستمع فيها المتطوعون لأية قراءات لم يكن لها أي تأثير مهدئ للتوتر.

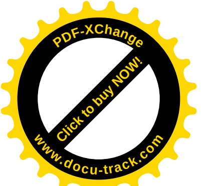
كانت طريقة المراقبة في جميع التجارب هي استعمال قناة قياس التيارات الكهربائية في العضلات بواسطة موصل كهربائي سطحي مثبت فوق عضلة الجبهة .

والمعايير التي تم قياسها وتسجيلها خلال هذه التجارب تضمنت متوسط الجهد الكهربائي في العضلة إضافة إلى درجة التذبذب في التيار الكهـ بائي في أي وقت أثناء القياس ومدى حساسية العضلة للإثارة والنسبة المئوية للجهد الكهربائي في نهاية كل تجربة بالنسبة إلى أولها وتم قياس كل هذه المعايير إلكترونيا بواسطة الكمبيوتر واعتبرت إيجابية العلاج عندما يؤدي هذا العلاج إلى أقل جهد كهربائي للعضلة .

النتيجة الثانية :

وكانت النتائج إيجابية في (٦٥%)من تجارب القراءات القرآنية وهذا يعني أن الجهد الكهربائي للعضلة كان أكثر انخفاضا في هذه التجارب مما يدل على أثر مهدئ للتوتر بينما ظهر هذا الأثر في (٣٥%) فقط من تجارب القراءات غير القرآنية .

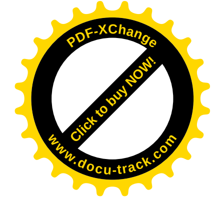
ويستنتج من هذه التجارب أن للقرآن الكريم أثرا إيجابيا مؤكدا لتهدئة التوتر ظهر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي




وتغيرات في الدورة الدموية وما يصحب ذلك من تغير عدد ضربات القلب وكمية الدم الجاري في الجلد ودرجة حرارة الجلد[١]

---

(١) الاستشفاء بالصلاة ١/ ٦١- ٦٤.

المبحث الثاني

بعض الفوائد الصحية للصلاة عموما والقيام خصوصا

أولا: تنشيط الدورة الدموية :

يقول د/ زهير:حركة السجود تؤدي إلى منافع جمة في تيسير مهمة الارتجاع الدموي صوب القلب بما يلي:

توجيه الدورة الوريدية بالجسم عموما في اتجاه عمل الجاذبية الأرضية .

تنشيط المضخة الوريدية في البطن إلى أقصى درجة ممكنة .

سحب الدماء بمضخة الساق من الطاقم السطحي إلى الطاقم العميق من أوردة الطرف السفلي .

أقصى استخدام لقوة السحب السالب من عضلة القلب جنبا إلى جنب مع سحب الجاذبية الأرضية(١)

ثانيا : العضلات :

للصلاة أثر إيجابي كبير على عضلات الجسم وقد ثبت هذا من خلال تجارب قام بها أطباء مصريون من قسم الروماتيزم والتأهيل بكلية طب الأزهر والمستشفى الجوي العام وهم:

د/ حسن بسيوني . د/ محمد بسيوني .

د/ محمد نور الدين . د/ محمد رضا عوض .

وقد استنتج الفريق الذي أجرى تخطيط العضلات أثناء هذه الركعة من الصلاة أن عددا كبيرا من عضلات الجسم تشارك في أداء حركات الصلاة ومن ضمنها العضلات المتحكمة في حركة المفاصل

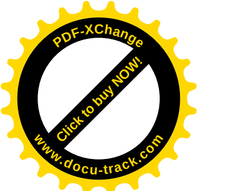
وهذا يعتبر تدريبا منظما يوميا يجعل المفاصل والعضلات تعمل في أقل مستوى ممكن للمحافظة على صحتها.

و إذا نظرنا إلى عضلات الجسم عامة وجدناها تتدخل بصفة أو بأخرى في أداء حركات الصلاة وذلك بدرجة متفاوتة من قوة الانقباض وأهم العضلات العاملة هي عضلات الجذع والأطراف الأربعة (٢)

---

(١) الاستشفاء بالصلاة ١/ ١٠٧.

(٢) الاستشفاء بالصلاة ١/ ١٣٤، ١٣٠.




ثالثا: العظام :

إن الإسلام سبق الطب الحديث في علاج الضمور العظمي سواء كان الضمور طبيعياًبسبب التقدم في السن أو كان بسبب الخمول حيث أن أداء ١٧ركعة يوميا في المفروضات و٣٣ ركعة من النوافل يجعل الإنسان ملتزما بأداء حركات جسمية متوسطة الجهد طيلة ثلاث ساعات :

كل ركعة فيها ٧ حركات وفي ٥٠ ركعة ٣٥٠ حركة ومعدل زمن حركة واحدة مع الاطمئنان نصف دقيقة.

إذن فالصلوات كلها تستغرق١٨٠ دقيقة، أي ثلاث ساعات من المجهود المتوسط أوما يقابلها بالجهد القوي ساعتين : كالجري والسباحة مثلا .

وهكذا وطيلة الحياة يقوم المسلم كل يوم بأداء الصلاة بحيث أن مجهوده هذا يعادل كما ذكرنا رياضة متوسطة تقارب ثلاث ساعات وهذا يجعل عظم المسلم قويا وسليما وقد يفسر هذا ما نلاحظه في المجتمعات المحافظة على الصلاة حيث يقل التقوس الظهري الذي يحدث عادة عند الكبر بسبب ضمور عظام الفقرات الظهرية والقطنية (١).

---

(١) المصدر السابق١/ ١١٨، ١١٩.




الفصل الرابع

مختارات شعرية ترغب في قيام الليل

المبحث الأول

مختارات شعرية عن قيام الليل

ينقل الشيخ الراشد في رقائقه أبيات تحض على قيام الليل :

منها قول أحدهم :

يارجال الليل جدوا

رب داع لايـرد

لايقوم الليـل إلا من له عزم وجد[١]

و قال ابن القيم رحمه الله :

يحيـون ليلـهم بطاعة ربهم * بتــــلاوة وتضرع وسـؤال

وعيونهم تجري بفيض دموعهم* مثل انهمال الوابل الـهطال

في الليل رهبان وعند جهادهم * لعدوهم من أشجع الأبطال

بوجوههم أثر السجود لربـهم * وبها أشعة نوره المتلالي[٢]

وقال آخر :

ياليل قيامك مدرسة فيها القرآن يدرسني

معنى الإخلاص فالزمه نهجا بالجنة يجلسني

ويبصرني كيف الدنيا بالأمل الكاذب تغمسني

مثل الحرباء تلونها بالإثم تحاول تطمسني

فأباعدها وأعاندها وأراقبها تتهجسني

فأشد القلب بخالقه والذكر الدائم يحرسني (٣)

---

(١) الرقائق ١/ ٣١.

(٢) الرقائق ١/٣٥.

(٣) الرقائق ١/٣٣.




وقال آخر يعاتب نفسه على قلة بكاءه في الليل :

أنام على سهو وتبكي الحمائم

وليس لها جرم ومني الجرائم

كذبتُ لعمر الله لو كنتُ عاقلاً

لما سبقتني بالبكاءِ الحمائمُ (١)

---

(١) الرقائق ١/ ٣٥.

المبحث الثاني

أبيات نظمتُها في الترغيب في قيام الليل

أقول : وقد نظمتُ هذه الأبيات في قيام الليل:

[لاتضيع ليلك في المعاصي]

أيها الغارق في أعماق بحر الشهواتْ

أيها اللاهي طويلا في هباء القنواتْ

أيها الراجي فلاحاً في زمان الغفلاتْ

إن سرَ الفوز لوتعلم في ضبط البياتْ

في ظلام الليل تسمو بخشوع السجداتْ

بقـيام ودموع وبآي وعظاتْ

إن يكن للوقت سعر * فهي ساعات السباتْ

لاتُضعْ وقتاً شريفاً * فيه نيل الأمنياتْ

ياإلـهي فامنح القلب على الحق ثباتْ

وأنر دربي وارزقني ثباتا في المماتْ

واختم العمر بخيرٍ

ياكريم الأعطياتْ

[قيام الليل سر النصر]

إن سر النصر والتمكين سهلُ * ويراه من له لب وعقلُ

إن سر النصر إخباتٌ وخوفٌ * من عظيم أخذه حق وعدلُ

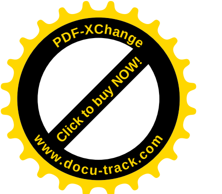
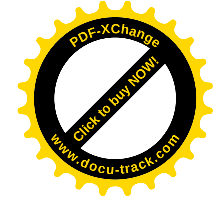
إن سرَ العزِ ذكرٌ وصلاةٌ * وسجودٌ يقضٌ والناسُ غفلُ

إن سر النصر في طول قيام * وبآي في ظلام الليل فاتلُ

إن في الأسحار مولاك ينادي * ويلبي من له في الليل سؤلُ

إن سر النصر حفظ لحروف * وحدودٍ لا تقل إني مُقِلُ

* * *

[قيام الليل جنة العابدين وأنس أرواحهم]

يأخي استأنس بليل سادلٍ * ونجوم وسكون وظلام

لركوعٍ ودموعٍ ومتابٍ * وسجودٍ ودعاءٍ وقيام

* * * *

يا أخي إن سكون الليل جنة

ترتضيه كلُّ نفسٍ مطمئِنَّة

مرتع تنزل فيه الرحمات

كم به نصرٌ على إنسٍ وجِنَّة

أيها الغافلُ عن غايته

قفْ تمهلْ إنها نارٌ وجَنّةٌ

أيها الشاكي خطوباً مدلهمة

اقشع الهم بقرآنٍ وسنة

بقيامٍ وصيامٍ بمتابٍ

وصلاةٍ ودعاءٍ في الدُّجُنَّةْ[١]

فقيام الليل قبل الموت جُنّةٌ

ترتقي فيه النفوسُ المطمئنة

إن في الليل أمانا من لظى

وهو حرز حافظ من كل فتنة

اعقلوا عني هديتم للهدى

أولستم يادعاةً خيرَ أمة

* * * *

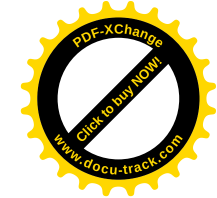
أيها التابع نهج المصطفى

هلا تأملت له كيف ارتقى

انظرنْ في ليله كيفَ بكى

يرتجي اللهَ خلاصاً في الدُّجى

(١) الدُّجنة : الظُلمة انظر القاموس المحيط ١٠٧٧/١ .

سمع الله لمكــلوم شكى

ظلم طاغٍ وكفـورٍ قد طغى

أيها القائم في جـوف الدجى

ناجــي رحماناً عليماً بالخفى

قـف على أبـوابه في ذلةٍ

يسمعُ الشَّـكْوى ويُعطي مخلفا

[ياباحثاً عن الخبر]

ياباحـثاً عن الخـبرْ

في مشرقٍ أومغربٍ أو في قطْر

من ذا هُزِمْ من ذا انتصـرْ

إن كنت مغرما بأصدق الخبرْ

حذار من خبائث الصـورْ

فإثمها عند الإله مستطرْ

والغضُّ أزكى عن صغائر الشرر

ياباحثا عن أصـدق الخبْر

اسمع بعـقل وبسمع وبصرْ

من ناصر الله انــتصرْ

من دمعه في ليـله قد انهمرْ

مستغفرا لربه في ظـلمة السحرْ

وفي نـهاره لربه قد انتـصرْ

نـهى عن الإثـم وبالعرف أمرْ

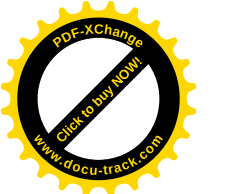
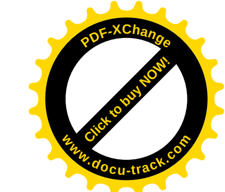
يفشى السـلام في تبسم كأنـه القمرْ

ومعرضا عن جاهل في جهله قد استمرْ

وطالبا لرزقه من حــلهْ

من دون غـش أو خداع أو غَرَرْ

وبعد هذا كله على الجميع قد صبرْ

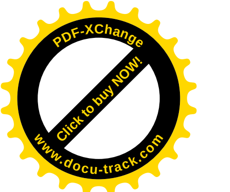
أتاه نصـر الله من بين البشرْ
رغم حسـود شانئ ومن مكرْ
وعند ربي جنةٌ خاليةٌ من الكدرْ
في مقعد الصدق غدا عندَ مليكٍ اقتدرْ
ثم الصلاة والسلام سرمداً على الأغرْ
على الشفيع أحمدٍ من بليله شكرْ
وآله وصحبه أئمةِ السّحَرْ
وكل قائمٍ على سبيلهم قد استمرْ [(١)]

كان الانتهاء من تحرير هذا البحث بصنعاء يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شوال ١٤٢٨هـ والله أسألُ أن يُلبسه ثوب القبول إنه سميع الدعاء ربنا اغفر لنا ولمشايخنا ولمن له حق علينا وللمؤمنين والمؤمنات آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لانعلمه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

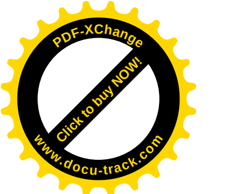
---

(١) المصدر السابق١/ ١١٨، ١١٩.




قائمة المراجع والمصادر

- الاستشفاء بالصلاة - تأليف الدكتور - زهير قرامي رابح الناشر: هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي - بمكة المكرمة .
- -القاموس المحيط – الفيروز آبادي – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان– ١٩٩٥م .
- تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء إعداد : أحمد بن سليمان و زوجه أم صفية بنت محمد صفوت نور الدين - الناشر: دار الإيمان بمصر – الإسكندرية – الطبعة الثانية - ٢٠٠٢ م.
- تفسير القرآن العظيم تأليف: الإمام الحافظ ابن كثير الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٨٦م.
- الجامع لأحكام القرآن – الإمام القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان – ط – الخامسة ،١٩٩٦م -١٤١٧ ه .
- الجامع لأحكام القرآن تأليف : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥هـ.
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه- الناشر: دار صادر – بيروت .
- الرقائق- محمد أحمد الراشد - مؤسسة الرسالة .
- زاد المسير في علم التفسير – الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي الدمشقي – المكتب الإسلامي ودار ابن حزم - بيروت – لبنان – ط – الأولى .-٢٠٠٢م – ١٤٢٣هـ .
- زاد المعاد في هدي خير العباد تأليف: ابن قيم الجوزية- الناشر: دار القلم للتراث.
- سنن أبو داود تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي الناشر: بيت الأفكار الدولية - لبنان -٢٠٠٤م .
- السنن الكبرى للنسائي- تأليف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى - ١٤١١هـ– ١٩٩١م- تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ،سيد كسروي حسن .



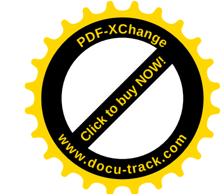

- سنن أبو داود تأليف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت.
- سنن الترمذي تأليف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي- الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت- تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .
- سنن الترمذي تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي الناشر: بيت الأفكار الدولية - لبنان - ٢٠٠٤م .
- سنن بن ماجه تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني- دار النشر: دار الفكر - بيروت - - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- شعب الإيمان تأليف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني- أبو بكر البيهقي (المتوفى : ٤٥٨هـ) - حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد - الناشر : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي- الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت - الطبعة الثانية - ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م تحقيق : شعيب الأرنؤوط.
- صحيح البخاري تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- الناشر: دار الفيحاء ودار السلام دمشق – الرياض - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- صحيح البخاري تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- دار النشر: دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م- الطبعة: الثالثة- تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- صحيح الترغيب والترهيب تأليف: محمد ناصر الدين الألباني - الناشر: مكتبة المعارف – الرياض- المملكة العربية السعودية – الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري - الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت- تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.




- صفة الصفوة تأليف : الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي الدمشقي - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري تأليف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ) المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب -رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي -الناشر : دار الفكر.
- فتح القدير تأليف: الإمام الشوكاني – مؤسسة الريان – بيروت –لبنان – ط-الثالثة ١٤٢٥ – ٢٠٠٤م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير - تأليف محمد بن علي الشوكاني -مؤسسة الريان - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- مسند أحمد تأليف : الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون.
- المسند المستخرج على صحيح مسلم تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني- الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م الطبعة : الأولى.
- مصنف عبد الرزاق تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني- الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة الثانية - ١٤٠٣هـ- تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب تأليف : جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري - الناشر : دار الفكر - بيروت- الطبعة السادسة ، ١٩٨٥م- تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله.
- موسوعة الشعر العربي من مصادره الأصلية -شركة آل عبد اللطيف .قرص مدمج.
- موسوعة المكتبة الشاملة الإصدار الأول قرص مدمج .



- النهاية في غريب الأثر تأليف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري- الناشر : المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م- تحقيق : طاهر بن أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

فهرس الموضوعات